

منهج الإسلام بالتوعية برسالة الحج الثقافية

مها بنت جريس بن محمد الجريس
كلية الشريعة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يمثل الحج رسالة حضارية وثقافية للعالم؛ فهو منسك الإسلام الوحيد الذي يجمع المسلمين على اختلاف أعراقهم وبلدانهم في ذات المكان والزمان، ليؤدوا أعمالاً واحدة، لا تختلف في هياتها ولا في أعدادها، وهذه الرسالة الثقافية الإسلامية تجمع بين وحدة الغاية، ووحدة الصورة، لتصوغ بذلك كله رسالة ذات مغزى عقدي وقيمي عميق، وقد سلك الإسلام منهجاً فريداً في إيصال هذه الرسالة العقدية والقيمية للناس، من خلال الأقوال والأفعال والهيئات، وهو منهج فريد تميزت فيه أمة الإسلام عن سائر الأمم، يجب استغلالها في هذا الزمن الإعلامي المفتوح ليكون موسم الحج أصدق تعبير عن معاني الإسلام للعالم كافة ولغير المسلمين خاصة، مما يستوجب المزيد من العناية بخدمة هذه الشعيرة إعلامياً بما يعبر عن هذه الرسالة العالمية التي لتعكس الإسلام بشكل صحيح.

مقدمة:

الحج رسالة حضارية وثقافية للعالم؛ فهو المنسك الوحيد الذي يجمع المسلمين على اختلاف أعراقهم وبلدانهم في ذات المكان والزمان، ليؤدوا أعمالاً واحدة تجمع بين وحدة الغاية، ووحدة الصورة، إضافة إلى وحدة اللفظ والمقال لتصوغ بذلك كله رسالة ذات مغزى عقدي وقيمي عميق، وقد سلك الإسلام منهجاً فريداً في إيصال هذه الرسالة العقدية والقيمية للناس من خلال عدد من الأمور التي سيأتي بيانها في هذا البحث، الذي أطمح -بعون الله وتوفيقه- أن يكون نافعاً للعاملين في الإعلام والتوعية للحجاج لإبراز هذه الرسالة بعمقها الثقافي، الذي تميزت فيه أمة الإسلام عن سائر الأمم، خصوصاً في هذا الزمن الإعلامي المفتوح، حيث يجب أن يكون موسم الحج أصدق تعبير عن معاني الإسلام للعالم كافة ولغير المسلمين خاصة، مما يستوجب المزيد من العناية بخدمة هذه الشعيرة إعلامياً بالصوت والصورة وحسن اقتناص لهذه الرسالة العالمية التي تعبر عن الإسلام بشكل صحيح.

وقد قسمت موضوع منهج الإسلام في التوعية بالرسالة الثقافية للحج إلى تمهيد وثلاثة مباحث هي:

١. المبحث الأول: الرسالة العقدية في الأقوال والأفعال والهيئات.

٢. المبحث الثاني: الرسالة القيمية في الأقوال والأفعال والهيئات.

٣. المبحث الثالث: نماذج من رسائل الحج من غير العرب ومقترح إعلامي تطبيقي

والله أسأل التوفيق والسداد، وإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، عدد ما أهل الناس محرمين وملبّين.

تمهيد:

فرض الله على المسلم الحج مرة واحدة في عمره -حال الاستطاعة- وفريضة الحج مدرسة تطبيقية لكل معاني الإسلام السامية عقيدة وسلوكاً؛ ولهذا يجد المتأمل في شعائر الحج أن الإسلام سلك مسلكاً فريداً في ترسيخ هذه المعاني العقدية والمبادئ الأخلاقية، وهذا المنهج هو: منهج (التكامل بين العقيدة والأخلاق في الأقوال والأفعال والهيئات) وهذا منهج تربوي عميق، فلا توجد في الحج الصحيح شعارات بلا

ممارسة، ولا أقوال بلا أفعال، بل يجد الحجاج فيه فرصة عملية لممارسة الإسلام معتقداً وسلوكاً وهوية وصورة. ويمكن توضيح هذا المنهج من خلال إبراز بعض التطبيقات كما يلي:

المبحث الأول: الرسالة العقيدية في الأقوال والأفعال والهيئات.

١. تبدو في الحج معاني العقيدة، أوضح مما تبدو في غيره من العبادات؛ ومن أهم قضايا العقيدة التي يصورها منسك الحج للناظرين ما يلي: ١. التوحيد. ٢. العالمية والوحدة.

التوحيد:

إن أعظم رسائل الحج هي رسالة التوحيد وهي رسالة ظاهرة في الأقوال والأفعال والهيئات، أما في الأقوال؛ فمن المقرر لدى المسلمين أن اسم "الحج" إنما يختص ببيت الله الحرام: " فلا يجوز إطلاقه في التبعيدات إلا على الحج إلى بيت الله الحرام، وما عدا ذلك فإطلاق بدعي لا يجوز، وقد فعل المبتدعة الأفاعيل، فقالوا: الحج إلى المشاهد وإلى القبور، وإلى العتبات المقدسة، وهي بدعة قولاً وفعلماً، وليس لها في الإسلام نصيب" ^١. كما أن أبرز رسالة صوتية في الحج هي التلبية، وكلها توحيد لله تعالى. قد كان العرب في الجاهلية يحجون ويلتوتون، ولكنهم يلبسون حجهم وتلبيتهم بما كانوا عليه من الشرك بالله فيقولون "لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك" فجاء ﷺ ليعلم التوحيد ويهدم أركان الشرك، فلبى بالتوحيد (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ^٢ وهذه التلبية قد جمعت بين أنواع التوحيد الثلاثة. وكان بعض الناس يزيد على تلبية رسول الله، فلم ينكر عليهم ما داموا على التوحيد، فقد صح عن ابن عمر أنه كان يلبى بتلبية رسول الله ويزيد مع هذا «لبيك وسعديك، والخير بيدك، والرغبة إليك والعمل» ^٣ «لبيك مرغوباً ومرهوباً إليك، ذا النعماء والفضل الحسن» ^٤ ويروى عن أنس «لبيك حجاً حقاً تعبداً ورقاً». وقد سميت هذه التلبية توحيداً فقال جابر - رضي الله عنه -: «أهل النبي ﷺ بالتوحيد» ^٥ لتضمنها معنى التوحيد. وفي خير الدعاء يوم عرفة توحيداً عظيماً، أرشد إليه ﷺ في حديث على رضي الله عنه أنه ﷺ قال (أَكْثَرُ دُعَائِي وَدُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي بِعَرَفَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ^٦. والتكبير في الرمي، والدعاء عند الجمرة، وأذكار المشاعر كلها تضحج بالتوحيد لله تعالى؛ قال الله تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ البقرة ٢٠٠.

وأما في الأفعال: فإن شعيرة الحج قائمة على تحقيق توحيد العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، قال عز وجل: ﴿وَإِذْ يُؤْتِنَا إِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الحج: ٢٦. فاستقبال البيت الحرام رسالة عملية في توحيد الله واستقبال القبلة حاضرٌ في المشاعر والمناسك كلها، وحتى في النحر يستقبل الناحر القبلة ويضعها على شقها الأيمن. ومن تحقيق التوحيد في الحج أن شرع للحاج أن يقرأ في ركعتي الطواف بعد الفاتحة بسورتي الإخلاص: "قل هو الله أحد"، و "قل يا أيها الكافرون" كما ثبت عن النبي ﷺ- في حديث جابر، ^٧ ومن الأفعال التي ترسخ مفهوم التوحيد عقيدة التسليم لله تعالى في استلام الحجر الأسود، والطواف والسعي بين الصفا والمروة؛ وقد جاء في حديث جابر أن النبي ﷺ- قال: (أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده) ^٨.

^١ معجم المناهج اللفظية للعلامة بكر أبي زيد، ص ٢٢٦.

^٢ رواه البخاري ١٥٥٠.

^٣ رواه مسلم

^٤ رواه ابن أبي شيبة، كما ذكره ابن حجر في فتح الباري

^٥ رواه مسلم ١٢١٨.

^٦ رواه الترمذي ٣٥٨٥.

^٧ أخرجه مسلم، ١٢١٨

^٨ رواه النسائي ٢٩٦٢.

وفي الهيئات: يتحقق في الحج عقيدة البراء من المشركين، حيث ترك رسول الله ﷺ -عادة المشركين في الهيئات. فأمر بستر العورات، ونهى أن يطوف في البيت عريان^١. ويظهر التوحيد لله في الميقات بالتجرد لله بثياب غير الثياب المألوفة، وحين يلتزم الحجاج على اختلافهم بسنة الاضطباع في الإحرام عند الطواف، والرمل في السعي والطواف، يظهر للناظر وحدة الوجهة والغاية كما قال ﷺ: (خذوا عني مناسككم)^٢.
العالمية والوحدة:

وهي من أهم رسائل الحج العقدية حيث تمثل العالمية خاصية من خصائص الرسالة المحمدية: ومع ذلك كله فإن الحج يعلن الوحدة مع الأنبياء عبر التاريخ حول مسألتي العبودية لله، واجتناب الطاغوت، وهو أعظم شعيرة تبرز فيها عالمية هذه الرسالة التي يجتمع لها الناس من أصقاع الأرض، ومن كل فج عميق، فقد جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس، ومهوى لأفئدة المسلمين، ومحطاً لأنظارهم وقبله لهم في حياتهم وبعد مماتهم. ووحدة هذه الأمة هي أسى غاية رسخها النبي ﷺ بين أصحابه مع تنوعهم، أبيضهم وأسودهم، غنيمهم وفقيرهم، عربهم وأعجمهم، وفي هذا الركن العظيم تتجلى معاني الوحدة والعالمية في منهج متكامل ومن أبرز ما يدل على العالمية في الأقوال: وحدة النداء والتلبية والدعاء، فالسنة الحجاج جميعاً تنطق بلفظ واحد رغم اختلاف ألسنتهم وألوانهم، يكبرون ويهللون، ويلبون ويقرأون القرآن بلسان عربي وإن اختلفت ألسنتهم في كل شيء عدا ذلك.
أما مظاهر العالمية والوحدة في الأفعال فتبرز في:

- وحدة الزمان والمكان، حين فرض الله الحج على المسلمين في وقت محدد من كل عام، وفي مكان واحد ومشاهد واحدة، ليحجوا مجتمعين لا متفرقين، فيشعروا بالوحدة والاعتصام، وكل ذلك يكون فهم الشعور العام بأنهم أمة واحدة، وجسد واحد.
- وحدة الشريعة والشعائر، فيمثل الحجاج أمة الإسلام على اختلاف أجناسها، وبلدانها، وألوانها، ولغاتها. فيجتمعون في مكان واحد، وفي زمان واحد، وفي لباس واحد، ويؤدون نسكاً واحداً، ويعلنون للعالم كله بأنهم أمة واحدة، يقفون في مشاعر مكة، فتتعارف الوجوه، وتتألف القلوب.
- وحدة الغاية والمعتقد.

وفي الهيئات:

تتجلى في الحج وحدة الأصل الإنساني والقضاء على الحدود الجغرافية فيؤدي الحجاج مناسكهم في وقت واحد وعلى صفة واحدة لا اختلاف بينهم في الوجهة ولا في صفة الشعائر فيرتدي الحجاج إحرامهم على صفة واحدة، ثم يحلقون يوم العيد رءوسهم ويقصرون، ويحلون في يوم واحد.

وفي ختام هذا المبحث يظهر للمتأمل أن التلازم بين الأقوال والأفعال والهيئات في رسالة الحج العقدية هو منهج فريد سلكه الإسلام لتأكيد عمق هذه المعاني، وتأصيلها في النفس البشرية، وهو ما سيظهر كذلك في استعراض الرسائل الأخلاقية القيمة التي تضمنها الحج في المبحث التالي.

المبحث الثاني: الرسالة القيمة في الأقوال والأفعال والهيئات.

لا يمكن لمجتهد أن يدعي حصر الرسالة القيمة للحج في عدد من الأخلاق؛ فالحج كله أخلاق، وهو رسالة عالمية يدرکہا كل من يرى بالعين المجردة، ودون أدنى تأمل ومن أبرز القيم التي تبدو في فريضة الحج:
الأخوة والمساواة:

ملايين البشر في الحج كل عام، يجمعهم نداء رباني، نادى فيه الله تعالى الناس باسم الإنسانية لا بشيء من الفروق الدنيوية فقال تعالى لنبية إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ الحج ٢٧ فيقرب هذا المنسك السنوي بين أبناء الأمة بعضهم بعضاً، ويحقق التعارف بينهم كأفراد وجماعات، ليوحد جسوراً من التواصل بين الإنسانية جمعاء بعيداً عن العصبية والعرقية، فتتجلى الأخوة في أسى معانيها، وتدوب كل الفروقات بدءاً من الإحرام، حيث يتجرد الجميع من ملابسهم، التي هي أهم السمات التي تدل على

^١ رواه البخاري ١٥٤٣.

^٢ أخرجه البيهقي، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم ٩١٩٢.

تفاوتهم وتمييزهم، ويلبسون كما أمرهم ربهم إزارًا ورداء، متمثلين حالهم عند فراقهم لديناهم لملاقاة خالقهم جلَّ وعلا، ساعين لتحقيق قوله ﷺ: (اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة)^١. لا فضل بينهم لعربي على أعجبي، ولا لأعجبي على عربي، لا يعرف أحدهم أحداً، لكنهم يجتمعون في موقف واحد، ويهتفون بكلمات متشابهة ولباس واحد يعبدون رباً واحداً، ويلبسون نداء سيدنا إبراهيم- عليه السلام- وهو فرصة للمساواة بين الجميع، فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: "كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحُمْس، وكان سائر العرب يقفون بعرفة، فلما جاء الإسلام أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ البقرة: ١٩٩ وقد اختار الرسول ﷺ موسم الحج ليعلن المساواة في خطبة الوداع فقال: (أيها الناس إن أباكم واحد وإن ربكم واحد، كلكم لأدم وأدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجبي إلا بالتقوى)^٢.

السلام والسكينة والرفق: من قواعد السلام في الحج أن أحد أعظم المبادئ التي تضمنتها خطبة الوداع هو مبدأ الأمن، حيث ضمن ﷺ للناس حقوقهم كلها فقال ﷺ: (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم إنما المؤمنون إخوة، لا يحل لأمرئ ماله إلا عن طيب نفس منه، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد)^٣ ومن قواعد السلام في الحج نفي الغلو والمبالغة في كل شيء ولزوم الاعتدال في المشي والرمي وسائر المشاعر، عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: الفُطُّ لِي حصًّا، فلَفَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصِيَّاتٍ هُنَّ حَصَى الخَدْفِ، فَجَعَلْتُ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ: (أمثال هؤلاءِ فارموا، ثم قال: أيها الناس! إيَّاكم والغلوُّ في الدين؛ فإنَّه أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين)^٤ وفي يوم عرفة، والناس كلُّهم يطلبون النَّفْرَةَ، سمع النبي ﷺ وراءه زَجْرًا شديدًا، وضرِبًا وصوتًا للابل، فأشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وقال: (أيها الناس عليكم بالسكينة؛ فإنَّ البرَّ ليس بالإيضاع)^٥: أي: ليس البرُّ بالإسراع. ورأى ﷺ عُمرَ يُزاجِمُ على الحَجَرِ فقال: (يا عُمر إنَّكَ رجُلٌ قويٌّ، لا تُزاجِمُ على الحجرِ فتُوذِي الضَّعِيفَ، إن وجدت خلوةً فاستلمه، وإلا فاستقبله وهلل وكبر)^٦.

السماحة والتيسير:

الحج يسرُّ كله، فلا يجب إلا على من استطاع، وحتى في شعائره مبناه على التيسير، فالرسول ﷺ كان أكثر جوابه في الحج: (افعل ولا حرج) عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال سئل النبي ﷺ فقال: (لَا حَرَجَ). قال: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أُنْحَرَ؟ قال: (لَا حَرَجَ). وفي حديث عمرو بن العاص- رضي الله عنه- قال: وَقَفَ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ يَمِي لِنَّاسٍ يَسْأَلُونَهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أُذْبِحَ؟ فَقَالَ: (أَذْبِحْ وَلَا حَرَجَ). فَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ: لَمْ أَشْعُرْ، فَتَحَرَّتْ قَبْلَ أَنْ أُزْمِيَ؟ قال: (أزِمْ وَلَا حَرَجَ) فما سئل النَّبِيُّ ﷺ عن شيء قَدَّمَ وَلَا آخَرَ إِلَّا قال: افعل ولا حرج^٧. ففي الحديث فسحة وسعة من الأمر، وهو ما يدل على يسر هذه الشريعة، وقصدتها رفع الحرج عن العباد، حتى جاءت آية اليسر في الدين كله في سورة الحج في قوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ الحج ٨٧.

التقوى والتطهير:

الحج تطهير وتنقية لنفس الإنسان، قال تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ البقرة ١٩٧. وقال رسول الله ﷺ: (من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه)^٨ وجعل الله زاد الحج التقوى، وكأنه مقصود الحج الأعظم فقال سبحانه: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ البقرة ١٩٧، يقول الحاج محمد أسد عن أحد دروس الحج: "الإسلام

^١ أخرجه ابن ماجه ٢٨٩٠ وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٧/٦).

^٢ رواه مسلم ١٢١٨.

^٣ رواه البخاري ١٦٥٢.

^٤ رواه ابن ماجه ٣٠٢٩.

^٥ رواه البخاري ١٥٨٧.

^٦ رواه أحمد (٣٢١/١).

^٧ رواه البخاري ١٣٠.

^٨ رواه البخاري ٨٣.

^٩ رواه البخاري ١٥٢١.

ليس فلسفة ولكنه منهج حياة ومن بين سائر الأديان نرى الإسلام وحده ، يعلن أن الكمال الفردي ممكن في الحياة الدنيا، ولا يؤجّل هذا الكمال إلى ما بعد إماتة الشهوات الجسدية، ومن بين سائر الأديان نجد الإسلام وحده يتيح للإنسان أن يتمتع بحياته إلى أقصى حدٍ من غير أن يضع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة، فالإسلام لا يجعل احتقار الدنيا شرطاً للنجاة في الآخرة وفي الإسلام لا يحق لك فحسب، بل يجب عليك أيضاً أن تفيد من حياتك إلى أقصى حدود الإفادة، إن من واجب المسلم أن يستخرج من نفسه أحسن ما فيها كيما يُشرف هذه الحياة التي أنعم الله عليه بها، وكيما يساعد إخوانه من بني آدم في جهودهم الروحية والاجتماعية والمادية الإسلام يؤكد في إعلانه أن الإنسان يستطيع بلوغ الكمال في حياته الدنيا، وذلك بأن يستفيد استفادة تامة من وجوه الإمكان الدنيوي في حياته".^١

لقد سلك الإسلام في ترسيخ الأخلاق ذات المسلك الفريد الذي مرّ معنا في ترسيخ معاني العقيدة وبمنهج الإسلام المتميز وهو: التكامل بين العقيدة والأخلاق في كل من: الأقوال والأفعال والهيئات.

المبحث الثالث: نماذج من مواقف غير العرب حول رسالة الحج ، ومقترح إعلامي تطبيقي

كان موسم الحج نقطة تحول فاصلة في حياة بعض المسلمين من غير العرب، حيث قلبت تلك الرحلة الإيمانية لديهم موازين الأمور، وأتاحت لهم فرصة معرفة الإسلام على حقيقته، وبصورة عجز المسلمون عن نقلها إليهم، ومن أشهر هؤلاء على الترتيب: رحلة الحاج مالك شاباز^٢ المشهور بمالكوم إكس، ورحلة المستشرق الهولندي المسلم محمد أسد^٣، وأخيراً رحلة المستشرق الألماني المسلم مراد هوفمان^٤، ثم الحاج الياباني محمد صالح. وقد كان مالكوم إكس ثائراً أسود، قد انتهى به الحال إلى اعتناق آراء حركة "أمة الإسلام" ثم رأى أن الطائرة التي أقلعت به من القاهرة للحج تحمل ألواناً مختلفة من الحجيج: فصيح ذلك له ما أفهمته إياه حركة أمة الإسلام من أنه فقط دين الرجل الأسود، وبعد أن قضى بمكة اثني عشر يوماً هاله ما رآه فيها من مسلمين بيض وسود، على قلب رجل واحد، بينهم كل المساواة والمحبة، ولم يخطر بباله أن يرى الأبيض والأسود لباس الحج الموحد، ورأى الإسلام الصحيح عن كذب وتعرف على حقيقته وأدرك ضلال المذهب العنصري الذي كان يعتنقه ويدعو إليه، كما تعلم هناك الصلاة الصحيحة التي كان يجعلها. وقد تأثر مالكوم تأثراً شديداً بمشهد الكعبة وأصوات التلبية، وبساطة وإخاء المسلمين يقول في ذلك: "في حياتي لم أشهد أصدق من هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس، إن أمريكا في حاجة إلى فهم الإسلام لأنه الدين الوحيد الذي يملك حل مشكلة العنصرية فيها"^٥ ويقول "لقد قابلت في رحلتي في العالم الإسلامي أناساً يعدون في أميركا من البيض، وتحدثت معهم، بل تناولت الطعام معهم، ولكن التزعة البيضاء محابها من أذهانهم دين الإسلام، وما شهدت أخوة خالصة وصداقة كذلك الأخوة التي يمارسها الناس هنا بغض النظر عن لون بشرتهم"^٦ وفي ختام حديثه قال: "وسع حجّي مجال فكري فقد أنعم علي ببصيرة جديدة خلال أسبوعين في الأرض المقدسة، ورأيت مالم أره في تسع و ثلاثين سنة هنا بأمريكا"^٧ لقد غيرت رحلة الحج مفهوم مالكوم عن الإسلام وعن الخلاف بين السود والبيض، وعاد إلى الولايات المتحدة بتصوريات تتبرأ من اعتبار البيض جميعاً أشراراً لمجرد كونهم بيضاً وبمعتقد صحيح على منهج السنة.

● أما الحاج محمد أسد فيصِف إفاضته مع الحجيج من عرفات فيقول: «ها نحن أولاء نمضي عجلين، مستسلمين لغبطة لا حد لها، والريح تعصف في أذني صبححة الفرح: لن تعود بعد غريباً، لن تعود، إخواني عن اليمين، وإخواني عن الشمال، ليس بينهم من

١ محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ص ١٩.

٢ واسمه عند مولده: مالكوم ليتل، هو داعية ومدافع عن حقوق الإنسان أمريكي من أصل إفريقي، صحَّح مسيرة الحركة الإسلامية في أمريكا، ودعا للعقيدة الصحيحة، وصبر على ذلك حتى اغتيل لدعوته ودفاعه عنها. للاستزادة أنظر: مالكوم إكس سيرة ذاتية ، إليكس هالي ترجمة: ليلي أبو زيد.

٣ يهودي الأصل نمساوي الجنسية، اسمه الأصلي: ليوبولد فايس، ويعد من أبرز المؤرخين الذين عاصروا الملك عبد العزيز إبان فترة توحيد البلاد. وكتابه «الطريق إلى مكة» أحد أشهر كتبه الذي احتوى على ترجمة لسيرته حتى سنة ١٩٣٢م.

٤ مراد هوفمان، ألماني الجنسية، نال شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة هارفرد، وشغل منصب خبير في مجال الدفاع النووي في وزارة الخارجية الألمانية ثم مديراً لقسم المعلومات في حلف الناتو ثم سفيراً لألمانيا في الجزائر ثم سفيراً لدى المغرب في مقتبل عمره.

٥ إليكس هالي، مالكوم إكس: سيرة ذاتية- ترجمة ليلي أبو زيد ص ٢٦١

٦ المصدر السابق.

٧ المصدر السابق.

أعرفه، وليس فهم من غريب، فنحن في التيار المصطخب جسد واحد، يسير إلى غاية واحدة، وفي قلوبنا جذوة من الإيمان الذي اتقد في قلوب أصحاب رسول الله... يعلم إخواني أنهم قصرُوا، ولكنهم لا يزالون على العهد، سينجزون الوعد «لبيك اللهم لبيك» لم أعد أسمع شيئاً سوى صوت «لبيك» في عقلي، ودوي الدم وهديره في أذني... وتقدمت أطوف، وأصبحت جزءاً من سيل دائري! لقد أصبحت جزءاً من حركة في مدار! وتلاشت الدقائق، وهذا الزمن نفسه، وكان هذا المكان محور العالم»^١.

● وأما مراد هوفمان فقال عن فريضة الحج: "ولا ترمز ملابس الإحرام فقط إلى تساوي البشر أمام الله، وإنما ترمز أيضاً إلى يوم القيامة، فلقد كنا نبدو ونحن نقطع صالة المطار مجيئة وذهاباً كمن قام من الموت ومازال يرتدي كفته! بل إن كثيراً من الحجاج يحتفظون بالفعل بإحرامهم كفنأ لهم!"^٢ وقال عن يوم عرفة: "كان يوماً طويلاً رائعاً، يوماً للتأمل، وللسلام، وللصلاة"^٣ وعن الأضحى يقول: "في عيد الأضحى ينظر العالم الغربي إلى تضحية المسلمين بحيوان على أنه عمل وحشي، على الرغم من أن الغربي ما يزال حتى الآن يسي صلواته (قرباناً)! وما يزال يتأمل في يوم الجمعة الحزينة لأن الرب (ضحى) بابنه من أجلبنا!"^٤

● ومن بين من كتب عن الحج من غير العرب يأتي كتاب (الحج إلى مكة المكرمة) الذي طبعته مكتبة الملك عبد العزيز تحت عنوان (ياباني في مكة)^٥، مؤلفه تاكيشي سوزوكي الذي أصبح يعرف فيما بعد بالحاج محمد صالح، وفيه يصف تفاصيل رحلته إلى مكة المكرمة في العام ١٩٣٨م مؤكداً أنه لمس عمق الإيمان الذي أهره، وقد قام فيه بتصوير مشاعر مسلم من بيئة مختلفة لامست قلبه وروحه معاني الحج الإنسانية.

● كما يذكر الدكتور محمد عدنان سالم أن أحد المستشرقين الهولنديين ذهب إلى جدة لدراسة خطر الحج المحتمل من الناحية الطبية وانتهت رحلته بإسلامه وحجه وتوثيق أول فلم مصور عن الحج عام ١٩٢٨م.^٦

مقترح إعلامي: صورة الكلمة وكلمة الصورة.

لقد اختار النبي الكريم محمد -ﷺ- موسم الحج ليكون منبراً يعلن فيه مبادئ رسالته للعالم أجمع، ويؤكد فيه كمال هذا الدين، فهل يمكن للمسلمين بعد هذه السنين الطويلة أن يعيدوا لهذا الموسم رسالته وأن يعود موسم الحج ليكون منبراً عالمياً للتعريف بهذا الدين؟ إن ثورة الاتصالات العصرية وضعتنا أمام أنظار العالم، وإن كثيراً من التقارب الثقافي يمكن أن يصلح ما أفسدته السياسة والحروب! وإن استثمار موسم الحج، وتوعية وفود الحجاج يوفر على الدعوة الإسلامية برسالتها السامية مئات من الرسائل والسفراء، فكل حاج يعود إلى بلده وقد حمل لقب (حاج) والذي يضاهاه بل يفوق -أحياناً- لقب أستاذ أو شيخ أو دكتور، فماذا لو عاد ومعهم الكثير من معاني الحج العقدي والأخلاقية، بعد أن قضى في ربوع مكة دورة تدريبية مكثفة لما تتضمنه من قيم ومبادئ وأخلاق. ولا شك أن استثمار موسم الحج إعلامياً مما يتطلب العديد من الجهود والدعم المؤسسي والحكومي والذي أحسب أنه لا يغيب عن هذه البلاد المباركة التي كانت وما زالت خادمة لبيت الله الحرام. ومن أهم ما يجب أن تتميز به الرسائل الإعلامية الناجحة في الحج ما يلي:

١. البساطة والوضوح: فالرسالة الثقافية يجب أن تكون ببساطة يفهمها أدنى الحجاج، ليسهل نقلها وفهمها وتبليغها من كل أحد.
٢. العمق والتركيز: لتستقر في ضمائر الحجاج، وتترك فهم الأثر المنشود.
٣. التكرار: بكل اللغات وبجميع وسائل الوعي والتعلم البصرية والسمعية والمطبوعة المقروءة.

١ محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص ٧.

٢ مراد هوفمان الطريق إلى مكة، ص ١٤.

٣ المرجع نفسه ص ٢٤.

٤ المرجع السابق.

٥. ترجمة: سمير عبد الحميد، وسارة تاكاشي.

٦ وهو المستشرق سنوك هورخرونية، وقد تم عرض الفيلم في سينما مدينة لايدن، بحضور ولاة العهد الأميرة يوليانا.

إن الرسالة الإعلامية الناجحة باختصار هي: (صورة الكلمة، وكلمة الصورة) وأعني بذلك استخدام الصور بدلاً من كثير من الكلمات، وتركها لتتحدث بكلام تعجز عنه الألسن. وقد لا تترجمه كل اللغات. وبعد استعراض سمات الرسالة الإعلامية الناجحة أسعد بتقديم عدد من المقترحات لا أدعي فيها كلها السبق، بل منها ما هو مجموع من بعض المقترحات التي قدمها عدد ممن لهم اهتمام بهذا الشأن^١ وهي كالتالي:

١. تثقيف العاملين بالحج برسالتهم السامية وضرورة الخروج من النظرة التجزئية للعمل في الحج إلى النظرة الكلية التي تتجاوز مفاهيم التأطير الديني والإشراف الإداري التقني والعناية الطبية لصياغة نظرة شمولية للعمل في الحج يستشعر الجميع فيه مسؤوليته باعتبارها بالدرجة الأولى مسئولية أخلاقية عقائدية.
 ٢. ضرورة تغيير نظرة الحجاج لذواتهم باعتبارهم مجالاً فقط للتوجيه والتسيير إلى عناصر للمشاركة والتعاون في بث رسالة الحج السامية بينهم.
 ٣. الحضور المؤسسي في وسائل التواصل الاجتماعي من خلال نوافذ مخصصة لإظهار وتعزيز رسالة الحج الثقافية مستهدفة الحجاج وغيرهم، في وقت واحد.
 ٤. عقد دورات تدريبية للعاملين في مجال التوعية والإعلام قبل موسم الحج بوقت كافٍ.
 ٥. السعي لتنفيذ مقترح إذاعة الحج وجريدة الحج وقناة الحج باللغات العالمية والتنسيق مع المطارات لعرضها وتوزيعها^٢.
 ٦. تزويد شركات الاتصالات بمواد نصية ذات رسائل قيمة في الحج ترسل لهواتف الحجاج مجاناً عند تسجيلهم لأرقام الشرائح التي يحصلون عليها في موسم الحج.
 ٧. وضع شعارات مرسومة تعبر عن بعض معاني وقيم الحج على المظلات وسيارات الأجرة وداخل الحافلات ومركبات قطار المشاعر.
 ٨. اختيار موضوع سنوي للحج، يكون من القيم الإنسانية التي يتوجه إليها الخطاب ومما له صلة وثيقة بأحداث العالم الجارية، كالعدل والحرية والمساواة والسلام والأمن وحسن الجوار ورفع الظلم ومساعدة الضعيف، ويصمم له شعار سهل ويعمم على التجار وأصحاب المحلات ويطبوع على هدايا الحجاج التي يعودون بها إلى بلادهم^٣.
- وبعد، فهذه مجرد إلماحات يمكن استخدامها أو بعضها كنواة لعمل مؤسسي يتلقاه المتخصصون بالإعلام والمؤسسة الدينية بالرعاية والتوجيه فيبارك الله في الجهود، وينفع الله به الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
- أهم نتائج البحث (نوصيات البحث)

١. التركيز على التلازم بين العبادة والأخلاق في رسالة الحج.

٢. إبراز التكامل بين الأقوال والأفعال والهيئات في رسالة الحج العقيدية والأخلاقية.

٣. تثقيف العاملين بالحج برسالتهم السامية.

٤. اختيار موضوع سنوي للحج، والتركيز عليه إعلامياً.

٥. الحضور المؤسسي في وسائل التواصل الاجتماعي.

^١ من أفضلها ما كتبه الأستاذ محمد عدنان سالم في مقترح مقدم لمنظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٤٢٦هـ مطالباً فيه باستثمار الحج في سبيل التعريف بالإسلام ومبادئه بعنوان: (ملكة كلمة لو تقولها) وهو على شبكة الإنترنت.

^٢ عادل الشدي، مقترحات عملية للتوعية في الحج. مقالة في صحيفة الرياض عدد ١٣٧٣١ الموافق ٢٦ ذو الحجة ١٤٢٦هـ <http://www.alriyadh.com/> ١٢٥٨٨٤

^٣ محمد عدنان سالم، ملكة كلمة لو تقولها، ص ٥.